عيد الغدير(عهد معهود وميثاق مأخوذ)

قال تعالى: {يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس} [المائدة: ٦٧] .

يوم ليس كباقي الأيّام، عيد وعهد وميثاق وتبليغ، إذ أمر الله تعالى نبيه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بلغة تكشف أهمّية الأمر وصعوبة قبوله من قبل الناس الذين كانوا معتنقين الإسلام عن عهد جديد فغيَّر حياتهم ومناهجهم واستنقذهم من ظلمة الجهل والفساد إلى النور والإصلاح ، فاختلفوا عليه بين من آمن به وبين من أسلم كراهة؛ بل اضطر بعضهم إلى دخول الإسلام خوفًا من حدِّ السيف وبريقه اللامع والمخيف، فلم يدخل الإيمان في قلوبهم، وكان حظّهم الاعتراض والرفض والتسويف.

إن لغة الخطاب من الله تعالى إلى النبيِّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، كشفت عن علم الله عزّ وجلّ وعلم نبيِّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بأنّ الناس قد لا يتقبّلون هذا التبليغ الذي أمر الله به والمتمثّل بتبيلغ المسلمين أن عليًّا (عليه السلام) هو الخليفة والوصي بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأكّد سبحانه وتعالى على أن هذا الأمر يتوقّف عليه قبول الرسالة؛ ليفهم الناس والمسلمون أن دينهم الجديد لا يكتمل إلّا بهذا التبليغ العظيم، ولن يتقبّل سبحانه وتعالى منهم دينهم إلّا بولاية علي (عليه السلام).

إنّ التبليغ بالولاية لأمير المؤمنين (عليه السلام) كان عهد من الله تعالى إلى محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم)، وكان بحقّ الميثاق المأخوذ الذي قطعه سبحانه وتعالى على سائر أنبيائه وخلقه، ففرض عليهم الأمر تشريفًا لهم وتمييزًا من غيرهم من المعارضين.

فكان الغدير عيدًا للمؤمنين يتناقلون ذكراه عامًا بعد عام بمزيد من البهجة والسرور كونه عيد الله الأكبر، وكونه اليوم المبارك الذي أكّد سبحانه على أن ذلك رضاه بعد أن قام النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالتبليغ رسميًّا في يوم مميّز عند مفترق الطرق حيث الهجير والظهيرة واجتماع القوافل قبل تَشتّتهم إلى الأمصار المختلفة، إذ وفّقهم الله تعالى للحضور في حجّة الوداع مع خاتم الأنبياء (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، إن ما يميّز هذا التبليغ أنه كان ختامًا للرسالة، إذ ختم الله بذلك نزول القرآن، وقبل من المؤمنين دينهم، إذ قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا} [المائدة: ٣] .

فكان كمال الدين وتمام النعمة بولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهذا الظاهر من توجيه الخطاب، كشف مقصود الله تعالى الذي قصد امتداد الرسالة الإسلاميّة من خلال المعصومين الذين خصّهم الله تعالى بالعصمة، وأيّدهم بحوله وقوّته بعد أن اختبرهم وابتلاهم فوجد فيهم القدرة على حمل الرسالة فجعل أمر الإسلام بين أيديهم ، {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام: ١٢٤]، فليس بمقدور عامّة الناس تحمّل أعباء الرسالة وجمع شتات الأمّة؛ فكانت العدالة الإلهيّة تقتضي وجود الأمين على الرسالة؛ ليستقر أمر الله على المنهج الذي اختاره الله تعالى ونهجه (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

والإسلام كمنظومة متكاملة احتضنت الشرائع والأديان؛ لذلك ينبغي له مواكبة العصور بوصفه خاتم الأديان، ومن هنا فإنّ الولاية التي ختم الله بها الإسلام تمثّل الدرع الحصين للحفاظ على المكتسبات الإسلامية، ومن لا ولاية له يُخشى عليه من الضياع والهلكة والتيه والضلال، فالولاية صمّام الأمان، ولا كمال للدين دون الولاية، والنعمة كل النعمة بولاية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الذي تجلّت فيه الولاية وامتدّت في عقبه المبارك ليُختم الدين بولاية ولده الحجّة بن الحسن (عجّل الله تعالى فرجه) فيملئُ الأرض قسطًا وعدلًا بعد ما مُلئت ظلمًا وجورًا.